عبقرية القص شرقية-عربية: ثلاثة نماذج عالمية

الدكتور عبد النبى اصطيف*

الملخص

فى طبيعة الإنسان وروحه، الإنسان المخترع، عاشق الأشياء الجديدة والتخييلات، والراغب فى أن يتعلم ويبلِّغ ما اخترع وتعلم؛ وهذا الميل عام لدى النوع البشرى فى كل العصور، وكل الأزمنة: ولكن الشرقيين بدوا دائماً أكثر حيازة له، وبقوة، من الآخرين، وهكذا ترك أنموذجهم ذلك الانطباع فى معظم الأمم الغربية المؤدبة البريئة. القصد من «الشرقيين»، هم المصريون، والعرب، والفرس، والهنود، والسوريون. سبب الاهتمام بهذا الموضوع لأ ن الشرقيين هم روّاد هذا الجنس الأدبى الذى فتن الإنسان منذ أقدم العصور، إلى درجة يمكن القول بأنها تلمس أصول الرواية الغربية فى آداب الشرق، وحاول هذا البحث معالجة ثلاث روائع من القص الشرقى: ولدت فى الشرق، وترعرعت فيه، متنقلة عبر الزمان والمكان فى مختلف أرجائه، ثم ما لبثت أن تجاوزته إلى أوربة، ومنها إلى سائر العالم، لتغدو جزءاً لا يتجزأ من متن الأدب العالمى وهذا الثلاثة تشمل كليلة ودمنة، وحى بن يقظان، و ألف ليلة وليلة أو الليالى العربية، تعود أهمية هذا البحث بأن جميع هذه النصوص نصوص مولِّدة مُلهِمة حفزت الأدباء والفنانين والمفكرين على إنتاج كمٍّ هائل من الأعمال وغدت متخَلِّلا عضوياً فى الكثير من الأعمال الأدبية والفنية والفكرية التى أنتجتها الثقافات القومية المختلفة.

* جامعة دمشق

أثر هذه الثلاثة على الأعمال الأدبية (فى حالة كليلة ودمنة، وحى بن يقظان، وألف ليلة وليلة) والفنية (ولاسيما حى بن يقظان، وألف ليلة وليلة) والفكرية (وبخاصة حى بن يقظان) فى مختلف ثقافات العالم: شرقيها وغربيها شماليها وجنوبيها.

مفاتيح البحث: عبقرية القص، كليلة ودمنة، حى بن يقظان، ألف ليلة وليلة.

إنه ***زمن الرواية*** هذا ما أعلنه كبير نقاد العرب المعاصرين جابر عصفور منذ نحو ربع قرن فى معرض حديثه عن الأدب العربى المعاصر. والرواية The Novel، بوصفها جنساً أدبياً رئيسياً، هى مولود أوربى تعود ولادته تبعاً لمؤرِّخى الرواية الأوربية إلى مطلع القرن السابع عشر، التقاه العرب، والشرقيون عموماً، فى نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع، فشرعوا فى ترجمته ونشره من خلال الصحافة والطباعة، ثم ما لبثوا أن قلّدوه، وبعدما أتقنوا محاكاته، بدؤوا مشروعهم الروائى الخاص بهم، ليشهد الوطن العربى والمشرق عامة نهوضاً للرواية تنامى حتى طغى على أدب الشرق، وطبَع زمنه بطابعها، وبات الحديث عن زمن الرواية حديث الساعة.

هذه هى قصة دخول الرواية، هذا الجنس الأدبى الحديث، فى محراب الأدب العربى الحديث، كما يرويها مؤرخو الأدب العربى الحديث. ولكن ما مدى صحة هذه القصة، ومدى قربها من واقع تاريخ الأدب العربى وتواريخ الآداب الشرقية عامة؟ وما قصة الرواية الأنموذج-الأصل؟ أو الرواية الأوربية؟ متى ولدت، وكيف نشأت وترعرعت، ونهضت حتى كان لها هذه المكانة المهيمِنة فى مختلف آداب أوربا، بل آداب العالم؟

ليس ثمة من إجماع على تاريخ محدد لولادة الرواية فى أوربة، ولكن معظم مؤرخى نشأتها يرون أنها ولدت فى القرن الثامن فى كل من فرنسا وإنكلترا، وينظرون إلى رائعة ميغيل دو ثيربانتس *دون كيخوته المانشى* (نسبة إلى

مانشا) على أنها سلَف مهم لها. ورأى كهذا محفوز بالنزعة المركزية –الأوربية Euro-centrism، ربما لا يروق للبعض فيمضى إلى ما وراء الفسحة الأوربية، ويشير بشكل خاص إلى ***حكاية كنجى*** لسيدة البلاط اليابانى شيكيبو موراساكى، التى تعود إلى عام ١٠٠٠ م، غير أن البعض الآخر يتطلع إلى تاريخ أقدم من الرواية اليابانية من ناحية، وفسحة أقرب من الشرق الأقصى من ناحية أخرى، فيشير إلى الشرق الأدنى بوصفه موطناً لأصول الرواية، وهكذا نقرأ فى كتاب بيير دانييل أويت (١٦٣٠-١٧٢١) الموسوم بـ «***بحث فى أصول الروايات***» (١٦٧٠) أن الرواية بوصفها جنساً أدبياً رئيسياً من أجناس الأدب الأوربى، لم تبدأ فى فرنسة أو إسبانية، وأن علينا أن نمضى أبعد منهما زماناً ومكاناً، بل أن نتجاوز الموروث الكلاسى، ونبحث عن هذا الأصل:

فى طبيعة الإنسان وروحه، الإنسان المخترع، عاشق الأشياء الجديدة والتخييلات، والراغب فى أن يتعلم ويبلِّغ ما اخترع وتعلم؛ وهذا الميل عام لدى النوع البشرى فى كل العصور، وكل الأزمنة: ولكن الشرقيين بدوا دائماً أكثر حيازة له، وبقوة، من الآخرين، وهكذا ترك أنموذجهم ذلك الانطباع فى معظم الأمم الغربية المؤدبة البريئة. وعندما أقول «الشرقيين»، فإنى أقصد المصريين، والعرب، والفرس، والهنود، والسوريين. وسوف تُقِرّ بذلك دون ريب بمجرد أن أبين لك أن معظم روائيى العصور القديمة العظام قد جاؤوا من تلك الشعوب .[١]

نعم إن الشرقيين هم روّاد هذا الجنس الأدبى الذى فتن الإنسان منذ أقدم العصور، فهم:

---

[١] نقلاً عن:

Margaret Anne Doody, *The True Story of the Novel,* (Harper Collins Publishers, London, 1997), pp. 12-13.

«الذين يظهرون، وإلى المدى الأتمّ، القدرات الإنسانية فى سرعة البديهة، والخطاب، والخيال. وإنها- هذه الخصائص- التى استعملت أول ما استعملت على النحو الأفضل من جانب الشرقيين الذين منحونا روايتنا، والتى كان السوريون، والفرس، والمصريون أوائل ممارسيها» .[١]

ورأى أويت هذا الذى تؤيده مارغريت آن دودى أستاذة العلوم الإنسانية فى **جامعة فاندربيلت** وتستند إليه فى كتابها *القصة الحقيقية للرواية* الذى صدر عام ١٩٩٧ على شاطئى المحيط الأطلسى، يتحدّى، بمعرفة صاحبه الواسعة، الرأى السائد فى نشأة الرواية ويدعو إلى إعادة النظر فيه، والنظر ما وراء أوربة بحثاً عن الفسحة الحقيقية التى وُلدت فيها الرواية.

وهو دعوة لمؤرخى الآداب الشرقية عامة، والأدب العربى خاصة، ودارسى الأدب المقارن على وجه الخصوص، إلى تلمس أصول الرواية الغربية فى آداب الشرق، وهو ما يحاوله هذا البحث الذى يتناول ثلاث روائع من القص الشرقى: ولدت فى الشرق، وترعرعت فيه، متنقلة عبر الزمان والمكان فى مختلف أرجائه، ثم ما لبثت أن تجاوزته إلى أوربة، ومنها إلى سائر العالم، لتغدو **جزءاً لا يتجزأ من متن الأدب العالمى**، وليتحول أحدها إلى مكوّن من مكوّنات الذاكرة الجمعية للإنسانية. لقد تخطت رقاب الأعصر، وسخِرت من كل الحدود، فاندمجت تجلياتُها فى مختلف اللغات الحية فى ثقافات العالم الوسيطة والحديثة، لتذكر هذا العالم، والغرب بشكل خاص، بدينه للشرق فى عالم القص العبقرى، وتدعوه ليخفف من غلوائه، والتمركز حول ذاته، لأن الحضارة الإنسانية، ولا سيما فنونها، نتاج إسهام جمعى لمختلف الأمم والشعوب، ولذا فإنها ترفض مبدأ الاحتكار، والتعالى. فالإنسان واحد، وفنه واحد، وأدبه واحد، ولذا ينبغى التعامل معه من منظور عالمى لا يعبأ بالحدود اللغوية، أو السياسية، أو العرقية، خاصة

[١] انظر المرجع نفسه ص (١٧).

وأنه عندما يرتحل عبر الزمان والمكان لا يحتاج إلى جواز سفر خلا قيمه الإنسانية الخالدة.

أولاً- *كليلة ودمنة*

يشير فرانسوا دو بلوا، صاحب كتاب ***رحلة برزويه إلى الهند وأصل كتاب كليلة ودمنة*** ، إلى ثلاثة مصادر اعتمد عليها بروزيه فى ترجمته لـ ***بنجه تنترا***، وهذه المصادر هى:

أسطورة ***كاندا براديوتا Canda Pradyota*** الموضوعة باللغة السنسكريتية؛

وملحمة ***الماهابهاراتا***، الموضوعة كذلك باللغة السنسكريتية،

والنسخة الأصل لـ ***بنجه تنترا*** الموضوعة بالسنسكريتية أيضاً،

ويضيف أن نصه ***كارايراك أد داماناك*** الموضوع باللغة البهلوية، أو الفارسية الوسطى، والذى يعود إلى القرن السادس، مستمد منها.

غير أن ما يؤرقه، ويؤرق الباحثين منذ علموا بهذه المصادر أن **المصدرين الأول والثالث منهما غير موجودين**، ولم يعثر عليهما قط، وأكثر من هذا فإن **ترجمة برزويه ذاتها مفقودة**، ولم يبق من آثارها، غير **ترجمة سريانية** قام بها الراهب بود فى القرن السادس الميلادى وهى **ترجمة ناقصة إذا ما قورنت بالترجمة العربية التى وضعها عبد الله بن المقفع فى منتصف القرن الثامن** الميلادى، وغدت **المصدر الوحيد** لسائر ترجمات الكتاب إلى مختلف اللغات، بما فيها اللغتان الفارسية الدرية والسنسكريتية، اللتان استردتا نسختيهما الأصليتين للكتاب بإعادة ترجمته عن نسخة ابن المقفع، بعد مقارنتها بمخطوطات ونسخ أخرى.

ومعنى هذا أن ترجمة عبد الله بن المقفع قد جدّدت حياة هذا الكتاب، إن لم تكن وهبته حياة جديدة، وأكثر من هذا، فإنها بإضافاتها المتّسِقة مع روح النص

---

[١] انظر:

Francois de Blois, *Burzoy's Voyage to India and the Origin of the Book of Kalila wa Dimnah,* (Royal Asiatic Society, London, 1990).

المترجَم (الذى ينتمى إلى ثقافة المترجِم الأصلية) ولغتها الهدف (العربية) المتألِّقة، قد يسّرت له انتشاراً واسعاً فى مختلف أنحاء المعمورة، حتى تجاوزت ترجماته عن العربية الخمسين ترجمة، حوّلته فى نهاية المطاف إلى كتاب كونى، وكنز أدبى إنسانى، وجعلته معلماً بارزاً فى تاريخ الترجمة من جهة، وكتب مرايا الأمراء من جهة ثانية، وأدب أنسنة الحيوان من جهة ثالثة، وجسراً مفتوحاً بين ثقافات الشرق والغرب.

ولذا، فإن من الطبيعى، أنك، إذا ما سألت أى الكتب أكثر رواجاً، وأوسع انتشاراً، فى عالم ما قبل العصر الحديث، وأيها أكثر ترجمة من حيث عدد اللغات التى تُرجِم إليها، وعدد الطبعات التى وضعت بين أيدى القراء بعد اختراع الطباعة؟ ستجد الجواب الحاضر بما يشبه الإجماع: إنه كتاب ***كليلة ودمنة***.

وقد يقول قائل إن الكتاب، كما يقرّ بذلك جميع دارسيه، ليس مؤلَّفاً أصيلاً من مؤلفات عبد الله بن المقفع، وأنه لا يعدو كونه ترجمة عن **لغة وسيطة** لكتاب **الأسفار *الخمسة*** أو ***الفصول الخمسة (بنجه تنترا) Pancatantra***، الكتاب الهندى، الذى تُرجم فى القرن السادس الميلادى من اللغة السنسكريتية إلى اللغة الفارسية الوسطى أو اللغة البهلوية من جانب برزويه الطبيب فى بلاط كسرى أنوشروان (الذى حكم بين عام ٥٣١-٥٧٩)، وأن ابن المقفع ترجمه عن الفارسية الوسطى إلى العربية نحو عام ٧٥٠ م تحت عنوان ***كليلة ودمنة*** ، وأن ترجمته هذه قد سُبقت بترجمة إلى السريانية (لغة المسيحية المقدسة) أنجزها فى الشرق القديم راهب عرف باسم (**بود**) Periodeut Bud.

غير أن من المهم التذكير بأن هذه الأخيرة، إذا ما قورنت بالنسخة العربية، **نسخة ناقصة،** لأنها لاتحتوى إلا على عشر قصص من قصص الإطار Frame-stories (التى يتخللها عدد من القصص الفرعية، والتى يتفرع عنها قصص

[١] *كليلة ودمنة* هما اسمان محوّران عن الاسمين الهنديين كاراتاكا Karataka ودامانا كا Damanaka.

أخرى). خمس منها هى ترجمة للأسفار/الفصول الخمسة لـ «***بنجه تنترا***»، أشهر كتاب قصصى باللغة السنسكريتية، تليها ثلاث قصص مأخوذة من الكتاب الثانى عشر من ***ملحمة المهابهاراتا***، الملحمة الوطنية الهندية، وبعدها تأتى قصة رابعة مستمدة من مصدر هندى بوذى، وأما القصة الأخيرة فقد كتبها برزويه نفسه، صاحب النسخة البهلوية.

وفضلاً عما تقدم، فإن النسخة السريانية هذه، والتى أنجزها الراهب Periodeut Bud نحو عام ٥٧٠ م، لم يبق منها غير نسخة وحيدة حُفظت بداية فى دير بماردين، ثم فى مكتبة بطريرک الموصل، إلى أن وصلت إلى يد .Mgr Graffin فى باريس، وقام G. Bickell بإعداد أول طبعة لها من نسخة غير كاملة عنها، نُشِرَت مشفوعة بترجمة ألمانية، قدم لها Th. Benfey، عام ١٨٧٦ فى مدينة لايبزيغ، ولكن F. Schulthess أعدّ لاحقاً طبعة أكثر إتقاناً، اعتماداً على ثلاث نسخ أُعِدَّت فى الموصل، ظهرت فى برلين عام ١٩١١. أى أنها لم تر النور إلا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر عندما نشرت ناقصة عام ١٨٧٦ م، ثم فى مطلع القرن العشرين عندما نشرت كاملة على يد شولتز عام ١٩١١ م.

يكتب **صالح سعادة جلاد**، الذى ربما كان أحدث من ترجم كتاب ***كليلة ودمنة*** إلى الإنكليزية وأفضلهم، فى معرض تقديمه لترجمته التى أطراها أكثر من مستشرق:

«الأصل الهندى، والترجمات اللاحقة –للكتاب- إلى الفارسية الوسطى، مفقودة منذ زمن بعيد، ولذلک فإن النسخة العربية لـ ***كليلة ودمنة*** تمثل المخطوطة الباقية الوحيدة التى تصل ما بين الماضى والحاضر. وحتى التحرير الحديث للعمل الهندى، ***بنجه تنترا***، يعتقد أنه اعتمد على النسخة العربية. ويعتقد

الخبراء فى هذا العمل أن ابن المقفع كان مترجماً حوَر مادته بحرية لتناسب أهدافه الخاصة به، وبكلمة كان ابن المقفع أكثر من مترجم» [١].

وربما كان من الجدير بالذكر أن النسخة العربية تتضمن، إلى جانب ترجمتها للنص البهلوى، مقدمة أو مدخلاً بقلم عبد الله بن المقفع تتخلله قصص فرعية عديدة، كما هو الحال فى قصص الكتاب الأخرى؛ ويلى هذا المدخل عرض لرحلة برزويه [٢]، ثم سيرة له مترجمة عن الّفارسية الوسطى، يبدو فيها الطبيب رافضاً لكل الديانات القائمة، وداعياً إلى الزهد (وكلا المدخل والعرض غير موجودين فى النسخة السريانية). وبعدها تأتى القصص العشرة المترجمة عن الأصل الفارسى. ومما يلاحظ فى هذه القصص أن ابن المقفع قد أضاف إلى قصة «الأسد والثور» تتمة عن محاكمة ابن آوى-دمنة، تحدث فيها عن عاقبة أمره، وعقابه بعد اكتشاف حيله ومكره. أما نهاية الكتاب فإنها تتضمن أربع قصص: اثنتان منها تعودان إلى أصول هندية، واثنتان أُخريان لم يعثر لهما على أصل.

ولذلك فإن المصدر الوحيد لـ *الأسفار الخمسة* كان كتاب *كليلة ودمنة*، رائعة ابن المقفع، التى افتتح بها فصلاً جديداً مشرقاً فى مسيرة النثر الفنى فى الأدب العربى الوسيط، وقدمها رائعةً من روائع الأدب العالمى تُرجمت إلى أكثر من خمسين لغة من لغات العالم القديم، والعالم الوسيط، والعالم الحديث، وربما كان من المفارقة أن الفرس والهنود قد أعادوا ترجمتها أكثر من مرة إلى لغتيهم من نسخة ابن المقفع، ولكنهم لم يقولوا هذه بضاعتنا رُدَّت إلينا، لأنها

---

[١] انظر:

Saleh Sa'adeh Jallad, *The Fables of Kalilah and Dimnah*, Translated from the Arabic by Saleh Sa'adeh Jallad, (Melisend, London, 2004), p. 21.

[٢] انظر بغرض الاطلاع على تفاصيل رحلة برزويه:

Francois de Blois, *Burzoy's Voyage to India and the Origin of the Book of Kalila wa Dimnah,* (Royal Asiatic Society, London, 1990).

جاءتهم محرَّرة ومنقحة ومزيدة على نحو تجعل المرء يميل إلى عدّ *كليلة ودمنة* أصلَ كل هذا التراث المرتبط بقصص الحكمة الموضوعة على لسان الحيوان، مع أن القصص المحورية - كما دعاها الدكتور عبد الحميد يونس- أو قصصَ الإطار Frame-stories، والقصص الفرعية التى عُشِّقت بها، تعمرها كذلك شخصيات إنسانية، وحتى الشخصيات الحيوانية فيها تتحدث حديث البشر، وتنحو فى سلوكها نحواً إنسانياً.

وهكذا فإن *كليلة ودمنة، أو مبادرة* عبد الله بن المقفّع فى ترجمته لـ *بنجه تنترا*، بل بالأحرى إعادة كتابته لها (والترجمة فى نهاية المطاف هى فى الأساس إعادة كتابة للنص المصدر المترجم ، تستند إلى فهم المترجم، أو ربما سوء فهمه، لهذا النص)، كانت المصدر المباشر وغير المباشر لجميع الترجمات اللاحقة لها إلى لغات المشرق العربى المختلفة وأوربة وسائر العالم، وكانت بحق من أهم عوامل دخول الكتاب فى دائرة الأدب العالمى.

ثانياً- حى بن يقظان

إذا كان الأنموذج الأول للقصّ الشرقى العبقرى قد أنجزه أديب-علَمٌ، زاوج فى

---

[١] انظر:

الأسفار *الخمسة أو البنجاتنترا*، ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس ،(الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠)، ص ٢٣.

[٢] انظر ماكتبه أندريه لوفيفر حول كون الترجمة إعادة كتابة:

André Lefevere,

- "What Is Written Must Be Rewritten, Julius Caesar: Shakespeare, Voltaire, Wieland, Buckingham", in Theo Hermans (ed.), *Second Hand: Papers on the Theory and Historical Study of Literary Translation* (Antwep, ALW-Cahier no.3, 1985, pp.88-106);
- *Translation, Rewriting, and the Manipulation of Literary Fame,* (Routledge, London and New York, 1992);
- *Translating Literature: Practice and Theory in a Comparative Literature Context* (The Modern Language Association of America, New York, 1992).

إهابه بين الثقافتين العربية والفارسية فى عمل فذٍّ غدا مَعلَماً بارزاً فى تاريخ النثر الفنى العربى الوسيط، مثلما تحوّل إلى مصدر إلهام فى تاريخ الأدب العالمى، فإن الأنموذج الثانى لهذا القصّ العبقرى صنعه فيلسوف من غرب العالم الإسلامى، هو ابن طفيل الأندلسى (المتوفّى عام ٥٨١ ه/١١٨٥ م) الطبيب والفقيه والأديب ومستشار الخليفة فى آن معاً، والذى تمَثّل فيه موروثَ القص الشرقى، وبخاصة قصتى ابن سينا «حى بن يقظان» و«سلامان وأبسال» اللتين استعار منهما عنوان روايته وشخصيتيهما الرئيسيتين ، والموروثَ الفلسفى العربى-الإسلامى فى مشرق العالم الإسلامى ومغربه ، فكان عمله حصيلة رائعة لجهد تراكمى قائم على استيعاب الموروث وإعادة تشكيله وفق رؤية جديدة، هى إضافته النوعية لهذا الموروث. وقدم كل ذلك فى قالب رواية فلسفية قصيرة حملت العنوان نفسه «*حى بن يقظان*»، عمل على تشكيلها خمس سنوات، فخرجت على يديه درّة لا نظير لها فى الأدب العربى، ومعلماً بارزاً فى تاريخ الأدب العالمى، إذ كان لها، منذ إنجازها، تاريخ أدبى فريد، فقد تجاوزت فى تداولها زمن تأليفها، مثلما تجاوزت الأندلس فى انتشارها فى شرق العالَم وغربه، وتخطّت اللغة التى أُلِّفت بها فتُرجِمت إلى مختلف لغات العالم، واندمجت فى ثقافاتها. وكان جواز تنقلها فى العالمين القديم والحديث ما تنطوى عليه من فكر إنسانى عميق، طالما شاغَل الكائن البشرى الباحث عن نفسه وعن موقعه فى هذا العالم وعن علاقته بخالقه.

[١] انظر بغرض معرفة المزيد عن صلة ابن طفيل بابن سينا:

Dimitri Gutas, "Ibn Ṭufayl on Ibn Sīnā's Eastern Philosophy", ***Oriens***, Vol. 34 (1994), pp. 222-241.

[٢] انظر بغرض معرفة المزيد عن صلة ابن طفيل بهذا الموروث:

SAMI S. HAWI, "IBN TUFAYL'S APPRAISAL OF HIS PREDECESSORS AND THE INFLUENCE OF THESE ON HISTHOUGHT", ***Islamic Studies***, Vol. 13, No. 3 (SEPTEMBER 1974), pp. 135-177.

لقد تحوّلت هذه الرواية الفلسفية القصيرة إلى مركز جذب وإشعاع فى تاريخ الأدب العالمى: تجتذب من ناحية صفوة العقول البشرية، وتحفز تفكيرها، وتنشر من ناحية أخرى ضوع فنها، ونور استبصاراتها، فى مختلف فنون القول، بل الفن عامة، وتمضى من الفن إلى الفكر والفلسفة تنشر التنوير فى العالم الغربى الخارج من العصور الوسطى.

نعم لقد غدت هذه الرواية الفلسفية مصدر إلهام لكبار الأدباء فى العالم الذين متحوا من محتواها الغنى، وكان رائدهم فى ذلك الروائى الإنكليزى دانييل ديفو Daniel Defoe، الذى استلهم روايته *روبنسون كروزو Robinson Crusoe* من رائعة ابن طفيل، ثم لحق به روديارد كيبلنغ Rudyard Kipling (١٨٦٥-١٩٣٦) الذى ألف *كتاب الغابة The Jungle Book* (١٨٩٤) والذى يحكى قصة ماوغلى Mowgli، وإدغار رايس بوروز Edgar Rice Burroughs (١٨٧٥-١٩٥٩) الذى ألف كتاب *طرزان* (١٩١٢)، ويان مارتل Yann Martel (المولود عام ١٩٦٣) والذى ألف *حياة بى Life of Pi عام ٢٠٠١*، وغيرهم.

وعلى النحو نفسه «كانت رواية ابن طفيل، وكما يؤكد سِبَستيان غونْتر ، مصدر افتتان عظيم بالنسبة للعلماء اليهود والمسيحيين فى أوربا، وقد لاحظت دراسات حديثةُ العهد أن موسوعيين من أمثال ألبرتوس ماغنوس Albertus Magnus (١٢٢٠-١٢٨٠)، وتوماس الأكوينى Thomas Aquinas (١٢٢٥-

---

[١] انظر القسم الخاص بترجمات حى بن يقظان وتلقيه فى محاضرته:

Sebastian Günther, "Ibn Tufayl's Philosophical Novel *Hayy ibn Yaqzan* and the Quest for Enlightenment in Classical Islam", THE TWELFTH ANNUAL VICTOR DANNER MEMORIAL LECTUR, Department of Near Eastern Languages and Cultures, Indiana University, 2017;

وانظر كذلك كتاب سمر عطار:

Samar Attar, *The Vital Roots of European Enlightenment: Ibn Tufal's Influence on Modern European Thought,* (Lexington Books, New York, 2007).

١٢٧٤)، وفولتيرVoltaire (١٦٩٤-١٧٧٨)، وروسو Rousseau(١٧١٢-١٧٧٨)، وديدرو Diderot

(١٧١٣-١٧٨٤) عرفوا عملَ ابن طفيل وقدَّروه حق قدره». وكذا الشأن بالنسبة للكاتب الألمانى غوتولد إفراييم ليسينغ Gotthold Ephraim Lessing (١٧١٢-١٧٧٨)، الذى اطلع على رواية ابن طفيل بترجمتها اللاتينية وأفاد منها فى معالجته الموسومة بـ "*فى أصل الدين الموحى*" "Ueber die Entstehung der geoffenbarten Religion". لقد وجد الجميع المصدر الملهِم لفكرة البحث عن الحقيقة والحق، عن الخلْق والخالق، وجسّدوها فى صور فى غاية التنوع والغنى.

صحيح أن *حى بن يقظان* تدخل فى تقليد ما بات يعرف بـ «نزعة التعلم الذاتى» auto-didacticism التى تُفضى بصاحبها إلى معرفة العالَم والخالق، ولكنها تتفرد بأمور:

أولها أنها تستوعب مجموعة مهمة من نصوص هذا التقليد سواء تلك الميسورة باللغة العربية مثل رسالة حى بن يقظان، وقصة «سلامان وأبسال» لابن سينا، أو تلك المنقولة من المواريث الأخرى وبخاصة الكلاسيكية منها مثل: «سلامان والمرضعة أبسال» التى نقلها حنين بن اسحاق عن اليونانية، فضلاً عن الموروث الشعبى الأسبانى المتمثل بـ «أسطورة الصنم والملك وابنته» الشائعة بين الموريسكيين الأرغونيين فى إسبانيا قبل ابن طفيل وزمنه، وتُنشِئ منها قصة تُكثِّف على نحو رائع «ما عرفه أهل زمانه من الآراء فى العلم وما وراء الطبيعة والتصوف والتفسير» [١].

والحقيقة أن هذه الرواية القصيرة تمثل ذروة هذا التقليد بتجاوزها لكل ما سبقها، وتقديمها رؤية للعالم متماسكة ومنسجمة فى شكل فنى ساحر ما انفك

[١] أحمد أمين، *حى بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردى*، ط ٣، (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٦)، ص ١٣، نقلاً عن مقدمة غوتييه لتحقيقه لرسالة حى بن يقظان.

يأخذ بألباب قرّائه من محبى الأدب والفلسفة حتى يومنا هذا . ومن الطبيعى أن يكون لها هذا التلقى المستمر والمستدام. ذلك انها عمل فيلسوف محكك أنفق خمس سنوات فى إنشائها دُرّةً ربما تُقرأ فى جلسة واحدة، ولكن حياتها تمتد فى نفس قارئها لتواكب حياته كلها بما تستثيره فى نفسه وعقله وروحه من أفكار، وما تستحثه عليه من تأملات فى تجارب حياته، وطرق تفكيره، ورؤيته للعالم من حوله.

وثانيها أن ابن طفيل الأندلسى وقد خبر البيئة الأندلسية، التى كانت، على خلاف البيئة الإسلامية المشرقية، بيئةً لا ترحِّب بالفلسفة وترى فيها زندقة غير مرغوبة فى مجتمع الأندلس ، وتنظر إلى العاملين فى[٢]ميدانها على أنهم زنادقة، يمكن أن تُستباح حياتهم، وتُحرق كتبهم، فضّل أن يضع فلسفته، أو رؤيته الفلسفية، فى هذا القالَب الفنى الذى يمكن أن يروق للعامة والخاصة معاً: للعامة بما ينطوى عليه من إبداع فنى، وللخاصة بما يحتويه من فكر ثاقب، وأفكار عميقة، ورؤية بعيدة للحياة والعالم والله.

وثالثها أنها رواية ظفرت منذ ظهورها، قبل وفاة ابن طفيل بسنوات قليلة، بتلق مُتميز وواسع ومستمر حتى يومنا هذا، ولم يقتصر هذا التلقى على دائرة الناطقين بالعربية، بل تجاوزه إلى دائرة أو دوائر الناطقين بغيرها. وكذلك فإنه

---

[١] انظر نص المحاضرة التى ألقاها البروفيسور سبستيان غونتر فى جامعة إنديانا فى العام الماضى:
Sebastian Günther,"Ibn Tufayl's Philosophical Novel *Hayy ibn Yaqzan* and the Quest for Enlightenment in Classical Islam", THE TWELFTH ANNUAL VICTOR DANNER MEMORIAL LECTUR, Department of Near Eastern Languages and Cultures, Indiana University, 2017.

[٢] انظر:
Lawrence I. Conrad, "Introduction: The World of Ibn Tufayl ", in: *The World of Ibn Tufayl: Interdisciplinary Perspectives on Hayy ibn Yaqzan*, Edited by Lawrence I. Conrad (Brill, Leiden, 1996), pp. 9-12.

شمل أتباع الديانات السماوية الثلاث: الإسلام والمسيحية واليهودية ، ولم يقتصر على فن القول بأجناسه المختلفة، بل تعداه إلى الفنون الجميلة الأخرى، وتجاوزه إلى ميدان الفكر والفلسفة. وكانت أداة التلقى فى البداية لغة عالمية فى زمنها هى اللغة العربية، ثم ما لبثت أن تحوّلت إلى لغة عالمية ثانية فى العالم الغربى هى اللغة اللاتينية، بعد ترجمتها إليها على يد المستشرق إدوارد بوكوك، ومنها إلى لغات أوربة كلها، ابتدأت بترجمة النسخة اللاتينية وتخطّتها لاحقاً لتنقلها من اللغة العربية مباشرة.

وإذا كان معيار التداول خارج حدّى الزمان والمكان لأى مُنتَج أدبى، بالإضافة إلى مؤشر تجاوز عائق اللغة بالترجمة وعائق الثقافة بالتوطين، يمكن أن تشكل مجتمعة شروطاً معقولة قابلة للتطبيق على أى عمل أدبى مرشَّح للدخول بجدارة فى دائرة الأدب العالمى، فإن *حى بن يقظان* تبدو مثالاً ممتازاً على هذا التداول العابر للزمان والمكان واللغات والثقافات. فتداول العمل الأدبى فى أزمنة تلى زمن إنتاجه، وفى بقاع جغرافية تقع وراء فسحة إنتاجه الأولى، وترجمته إلى لغة أخرى غير لغته الأصلية أو قراءته بلغته من جانب من يتقنها لسبب أو آخر، فضلاً عن توطينه فى ثقافة غير ثقافته حتى يغدو جزءاً لا يتجزأ من مكونات هذه الثقافة، كل هذه العوامل يمكن أن تدفع بالعمل الأدبى إلى محراب الخلود – محراب الأدب العالمى. و *حى بن يقظان*، بوصفها رواية فلسفية، مؤهلة بامتياز للدخول فى آن معاً إلى فسحتى الأدب العالمى، والفكر العالمى. وقد دخلت بالفعل وبجدارة كلاً من هاتين الفسحتين. والأدلة التى تؤكد دخولها هذا لا يمكن ردها، أو نقضها، أو تفنيدها، لأنها باتت جزءاً من واقع التاريخ الأدبى والفكرى العالمى.

---

[1] انظرعلى سبيل المثال:

Parveen Hasanali, "TEXTS, TRANSLATORS, TRANSMISSIONS: "HAYY IBN YAQZAN" AND ITS RECEPTION IN MUSLIM, JUDAIC AND CHRISTIAN MILIEUX", Unpublished Ph. D. Thesis, Institute of Islamie Studies, MeGill University, April, 1995.

وإذا ما استعان المرء بما أورده لورانس كونراد فى خاتمة كتاب «*عالم ابن طفيل: منظورات متداخلة المعارف إلى حى بن يقظان*» الذى حرره عام ١٩٩٦، وجمع فيه وقائع مؤتمر نظمه معهد ويلكام Wellcome Institute فى لندن، فضلاً عن إسهامات أخرى عن الرواية الفلسفية، من «مصادر البحث فى ابن طفيل وحى بن يقظان»، فإنه يمكن أن يشير إلى أن مخطوطات حى بن يقظان الموزعة على مختلف بقاع عالمنا، وطبعاته المنشورة فى العديد من عواصم العالم، وترجماته التى تغطى أهم لغات العالم، إلى جانب الدراسات الحديثة التى تدبرته فى مختلف التقاليد البحثية الحديثة والمعاصرة، تُؤكد أن عمل ابن طفيل قد اندمج بيسر وسهولة، بل بترحاب، فى المتنين الأدبى والفكرى للإنسانية .[١]

---

[١] ربما يجدر بالمرء التذكير بما قام به ليون غوتييه من عمل جمع بين التحقق العلمى والترجمة والدراسة أسهم على نحو حاسم فى تعزيز الاهتمام بحى بن يقظان فى صفوف باحثى الدراسات العربية والإسلامية فى الغرب، فيشير إلى أن الرجل قد أعد طبعة محققة للنص مشفوعة بترجمة فرنسية، وإلى أنه نشر بعد عدة سنوات رسالة علمية صغيرة عن ابن طفيل، ليتوج جهده المثمر بطبعة منقحة للكتاب أرفقها بترجمة فرنسية، مما جعل عمله فيما يبدو لكونراد «أفضل نص عربى، وأفضل ترجمة فرنسية متاحة للدراسة»، وانظر:

Léon. 0. Gauthier,

- *Hayy ben Yaqdhân, roman philosophique d'Ibn Thofail*, texte arabe publié d'après un nouveau manuscrit avec les variantes des anciens textes et traduction français, (P. Fontana, Algeiers, 1900);
- *Hayy ben Yaqdhan, roman philosophique d'Ibn Thofail*, texte arabe avec les varients des manuscrits et de plusieures édition et traduction française, 2e édition, revue, augmentée et complètement remaniée.
- *La philosophie musulmane: leçon d'ouverture d'un course public sur "le roman philosophique d'Ibn Thofail*". Paris: Ernest Leroux, 1900.
- *Ibn Thofail: sa vie, ses œuvres*. Paris: Ernest Leroux, 1909.

وانظر كذلك:

Lawrence I. Conrad, "Introduction: The World of Ibn Tufayl ", in:

The World of Ibn Tufayl:

Interdisciplinary Perspectives on Hayy ibn Yaqzan, p.2.

فأما مخطوطات حى *بن يقظان* فعددها كبير بأى معيار من المعايير، وهى موزعة على كبريات المكتبات العالمية فى أربع قارات، مما يدلل على سعة دائرة انتشاره، فثمة نسخ منها فى مكتبات البودليان (أكسفورد) والمتحف البريطانى (لندن)، وجامعة ليدن (هولنده)، والإسكوريال (إسبانية) وجامعة أنقرة (تركيا) والمكتبة السليمانية (استانبول) ودار الكتب المصرية (القاهرة) والمكتبة الوطنية (الجزائر)، ومكتبة الطنطاوى (دمشق) ومكتبة جامعة المالايا فى كوالالمبور عاصمة ماليزيا.

وأما طبعات الكتاب العربية التى تتجاوز العشرين فقد ظهرت فى كل من إنكلترا ومصر وتركيا والجزائر وسورية وقطر. وأما ترجماته إلى اللغات الأخرى فتقرب من العشرين فيما أحصاه كونراد حتى عام نشر كتابه، وتشمل ترجمات هولندية، وإنكليزية، وفرنسية، وألمانية، وعبرية، ولاتينية، وإسبانية، وإيطالية، وتشيكية، وفارسية، وبولوندية، وروسية، وتركية، وأردية، وغيرها، حتى أن كونراد نفسه يؤكد أنه باستثناء *ألف ليلة وليلة*، *والقرآن الكريم*، ربما لا ينافس كتابَ حى *بن يقظان* أى كتاب آخر من الأدب العربى القديم كله فى عدد مرات نشره، وفى عدد ترجماته، وفى عدد اللغات الأجنبية التى ترجم إليها.

أما الدراسات الحديثة التى تناولت ابن طفيل وعمله فعددها كبير، إذ يمتد ثبتها تسع صفحات، فى كل صفحة منها أكثر من ثمانى عشرة مادة موزعة على عدد من اللغات الحديثة.

ومن المهم أن يتذكر المرء أن هذه المعلومات محدودة بتاريخ نشر الكتاب، وهى بالتأكيد غير شاملة ولا راهنة، وهو ما تكشف عنه المواد التى تضمنها محركات البحث العلمى على الشابكة، والتى يزداد عددها يوماً بعد يوم.

ومن الجدير بالذكر أن اهتماماً متزايداً بمحتوى الرسالة الفكرى والفلسفى يمكن أن يتلمَّسه المرء فى كتب كاملة عن تأثيره فى الفكر الأوربى بشكل

خاص ، هذا على الرغم من محاولات المتعصبين من دارسين الأدب الأوربى، وبخاصة الأدب الإنكليزى، طمس هذا التأثير وعزوه إلى عمل مستلهم من حى بن يقظان هو رواية *روبنسون كروزو* لدانييل ديفو المتقدم ذكرها، ولكن الشمس لا يمكن حجبها بغربال، ومسألة تأثر الرواية الإنكليزية بعمل ابن طفيل باتت محسومة دللت عليها مراجع موثوقة ، ورسائل علمية ، وبحوث محكّمة مما يكفى الإشارة إلى بعضها فى هذا المقام. [٣]

ثالثاً-ألف ليلة وليلة

وكتاب *ألف ليلة وليلة* أو *«الليالى العربية» The Arabian Nights*، كما يحب

---

[١] انظر على سبيل المثال:

The Vital Roots of European Enlightenment: Ibn Tufal's Influence on Modern Samar Attar, *European Thought,* (Lexington Books, New York, 2007).

[٢] انظر على سبيل المثال:

- Antonio Pastor, *The Idea of Robinson Crusoe,* Volume One, (The Gongora Press, Watford, 1930);
- Nawal Muhammad Hassan, *Hayy Bin Yaqzan and Robinson Crusoe: A Study of an Early Arabic Impact on English Literature,* (Ministry of Culture and Information, Al-Rashid House for Publication, Baghdad, 1980);
- Tom Verde, "Hayy Was Here, Robinso Cruseo", *Aramco World*, Vol. 65, No.3, May/June 2014.

وانظر كذلك:

حسن محمود عباس، *حى بن يقظان وروبنسون كروزو*، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د. ت.).

[٣] انظر على سبيل المثال:

-Lamia Mohamed Saleh Baeshen,
"Robinson Crosoe and Hayy Bin Yaqzan: A Comparative Study",
A D. Phil. Thesis, Department of English, University of Arizona, USA, 1986;
-Rabia Abdul Salim Madhi, "The Writer's Journey Into Solitude: Self-Discovery in *Hayy* Ibn *Yaqzan, Robinson Crusoe* and *Friday",*
An M. A. Thesis Submitted to The English and Comparative Literature Department, the American University of Cairo, April, 2004.

الغربيون أن يدعوه، كتاب شرقى فى مجمله، وهو كتاب مولَّد Hybrid Book، تشى بنيته الفنية الأصلية: الحكاية –الإطار Frame-tale بالموروث الهندى، فى حين تعود حلقة حكايا السندباد البحار إلى التقليد السردى الشفوى اليونانى، وتتصل حكاية علاء الدين بالصين ، وتدل أسماء شخصياته الرئيسية (شهريار، و شهرزاد، و دنيازاد و شاه زمان) على أن الكتاب قد أمضى جزءاً من حياته فى بلاد فارس، ولذا فإننا لا نستغرب أن يرى المسعودى العمل مستمداً من الكتاب الفارسى: *هزار أفسانه* (ألف حكاية). بينما تؤكد حكاياته فى محتواها وقيمها وتقاليدها الاجتماعية بأن الليالى متجذرة فى الثقافة العربية-الإسلامية.

أداة الكتاب إذن هى اللغة العربية، والثقافة التى تحتضنه (التى هى الثقافة العربية-الإسلامية) وهو فى نهاية المطاف نتاج جمعى للعديد من الأمم والشعوب، الشرقية أساساً، التى عُرِفت باهتمامها بفن السرد، أداةً تُقاوم بها الموت، وتواجه بها تيار الزمن. ولكنه جزء لايتجزأ من متن «الأدب العالمى». بل إنه رمز لهذا الأدب، فهو من جهة عابر للعصور والأزمنة، ولم يعبأ فى يوم بحدّ الزمان، وهو من جهة أخرى عابر للحدود والتخوم، ولم يحتج فى أية مناسبة إلى جواز سفر أو تأشيرة دخول إلى أى من فسح الآداب القومية، وهو من جهة ثالثة نص معلِّم، أستاذ فى فن الغواية؛ غواية الثقافات الأخرى ودفعها إلى التأقلم مع الثقافة المصدر، ثقافته التى انبثق منها وهى الثقافة العربية-الإسلامية (مع أن بعض قصصه لا يعير كبيرَ اهتمام لقيم هذه الثقافة)، مثلما هو أستاذ فى القدرة على تجاوز العوائق الثقافية للآخر، بل اقتحامها، والإقامة بين جنبات ثقافة

---

[١] يمكن أن يذكر المرء من مؤشرات صلة *الليالى العربية* بالصين، التى يشار إليها فى الليالى على أنها إمبراطورية بعيدة يحكمها الإمبراطور فغفور، جزر الواق واق، وحكاية قمر الزمان وبدور التى تدور أحداثها فى مملكة (غَيور)، وحكاية سيف الملوك التى يزور فيها البطل الصين بحثاً عمن يحب، و حكاية الأحدب، وغيرها. وانظر:

Ulrich Marzolph and Richard van Leeuwen, Eds., *The Arabian Nights Encyclopaedia,* 2 vols. (Santa Barbara, Calif., and Oxford: ABC-CLIO Press, 2004), pp. 521-522.

الآخر بكل ما ينبغى من ترحاب ورضى.

ولاشك أنه كان للترجمة دور مهم فى تعزيز القدرة الخارقة لهذا النص الأساسى من نصوص الأدب العالمى على تجاوز حدّى الزمان والمكان وعائق الثقافة، إذ سهّلت عملية عبوره إلى الثقافات الأخرى، واستقراره فى آدابها وفنونها دون معاناة تذكر، إذ تأقلمتْ هذه الآداب والفنون معه، مثلما تأقلمِ معها، وغدا ضيفاً مرحَّباً به فى كل منزل، بل أصبح هو رب المنزل، على حد تعبير الشاعر العربى.

يكتب أنطوان غالان Antoine Galland (١٦٤٦-١٧١٥) فى مقدمته للطبعة الأولى من ترجمته (الأولى أوربياً بل عالمياً) والتى ظهرت قبل نحو ثلاثة قرون، وبالتحديد عام ١٧٠٤ م فيما تنقله عنه ساندرا نداف:

«لسنا بحاجة إلى أن ننبه القارئ على جمال القصص المتضمّنَة فى هذا العمل. إنها توصى بنفسها. وأنت بحاجة فقط إلى أن تقرأها لتوافق على أننا لم نر قط أى شىء من هذا النوع من الجمال، فى أية لغة» [١].

نعم لقد تجاوز هذا النص غير النهائى، والأساسى، فى آن معاً، حدّى الزمان والمكان، وعائقى اللغة والثقافة، وانسرب فى آداب هذه اللغات، مطلِقاً العنان لمترجميه ليفعلوا به ما يشاؤون، وما يرونه مناسباً لتعزيز انتشار ترجماتهم له مبيعاً وقراءة. ذلك أن كل مترجم كان يعيد فى الحقيقة كتابة هذا النص (والترجمة فى نهاية المطاف إعادة كتابة للنص المصدر تستند إلى فهم المترجم له واستيعابه لدلالاته) على نحو يخدم معاييره الشخصية والجمالية والأخلاقية والسياسية.

لقد تحوّل النص العربى غير الثابت، وغير المحقَّق، ومجهول النسب، بفعل

---

[١] انظر:

Sandra Naddaff, "The Thousand and One Nights as World Literature", in: *The Routledge Companion to World Literature*, Edited by Theo D'haen, David Damrosch, and Djelal Kadir (Routledge, New York and London, 2014), p. 487.

الترجمات التى لاتحصى، والمتميزة بأصالة تعبيرها عن وجهة نظر أصحابها الخاصة بهم، إلى نص غير شرعى فى نسبته للعربية وأدبها، مع بقائه عنواناً على ثقافته الأصل-الثقافة الشرقية- فى آن معاً. ونجح من ثَمّ فى أن يستوطن آداب أوربة كلها، بل آداب العالم، بعد أن استوطن قلوب قرائه وأرواحهم، وقلوبهم، وأنفسهم، وأصبح نصاً متفاعلاً مع نصوص هذه الآداب، متخلِّلاً لنسيجها الإنشائى على نحو لافت للأنظار، حتى أنه يمكن أن يشكل محوراً أساسياً فى التاريخ الأدبى لأوربة وأمريكا الشمالية (وربما الجنوبية كذلك) فى القرنين التاسع عشر والعشرين، وهو ما تحدثت عنه ساندرا نداف فى بحثها المعنوان بـ «ألف ليلة وليلة بوصفه أدباً عالمياً» والذى شاركت فيه فى مجلد *رفيق روتلدج للأدب العالمى*. وهكذا نراها تكتب، بعد استعراضها لدور عامل الترجمة فى استدامة الاهتمام بكتاب ألف ليلة وليلة فى مختلف آداب العالم، أن المرء:

«يمكن أن يطوِّر، على نحو منتِج، تاريخاً للأدبين الأوربى والأمريكى فى القرنين التاسع عشر والعشرين مستعملاً *ألف ليلة وليلة* بوصفه المصدرَ المولِّد. ويشهد كتّاب غربيون لا حصر لهم –بيكفورد، كولريدج، ديكنز، مالارميه، ستيفسنون، بروست، ييتس، فون هوفمنتشال، مارك توين، بورخيس من ضمن كتَاب آخرين- على تأثير هذا العمل وأهميته فى تطوير خيالهم الأدبى الخاص بهم. وكان شكلا القصة القصيرة، والقصة العجائبية *conte fantastique* بشكل خاص مستجيبين للإمكانات التناصية لـ *ألف ليلة وليلة*، ومثالان يكفيان <فى هذا المقام>: تمثل قصة تيوفيل غوتييه Théophile Gautier «الليلة المائة ٢

[١] انظر:

Sandra Naddaff, "The Thousand and One Nights as World Literature", in:

The Routledge Companion to World Literature, Edited by Theo D'haen, David Damrosch, and Djelal Kadir (Routledge, New York and London, 2014), pp.487-496.

[2] Beckford, Coleridge, Dickens, Mallarme, Stevenson, Proust, Yeats, von Hofmannsthal, Twain, Borges.

واثنتين» "La Mille et deuxième nuit" (١٨٤٢) وقصة إدغار ألن بو Edgar Allan Poe «حكاية شهرزاد الثانية بعد الألف» "The Thousand-and-Second Tale of Scheherazade"(١٨٤٥) افتناناً عاماً بمصير شهرزاد، فور مضيها إلى ما وراء زمن سرد الألف ليلة وليلة، إلى الزمن الحقيقى بوصفها زوجة السلطان شهريار» .[١]

والأمر لايقتصر على من تقدّم ذكرهم من الكتّاب، لأن تأثير *الليالى العربية* ممتد حتى يومنا هذا، فهو حضور مستدام بالترجمة إلى مختلف اللغات الحية، والدرس البحثى والنقدى الذى ينتج موسوعات وكتباً فردية وأخرى جمعية ومؤتمرات ورسائل جامعية ، وأعداداً خاصة لمجلات مرموقة[٢] مثل *مجلة الأدب*[٣]

---

[١] انظر:

Sandra Naddaff, "The Thousand and One Nights as World Literature", in: *The Routledge Companion to World Literature*, p. 491.

وانظر للمزيد من المعلومات عن تأثير الليالى فى الأدب الإنكليزى:

Peter L. Caracciolo, ed., *The Arabian Nights in English Literature: Studies in the Reception of the Thousand and One Nights into British Culture* (Macmillan Basingstoke; St Martin's Press, New York, 1988).

وانظر للمزيد من المعلومات عن تأثير الليالى فى الأدب الغربى فصل روبرت إروين المعنون بـ «أطفال الليـالى» فى:

Robert Irwin, "The Children of the Nights", in Robert Irwin, *The Arabian Nights: A Companion* (Tauris Park Paperback, London, 2004), pp. 237-292.

[٢] انظر على سبيل المثال:

Marina Warner, *Stranger Magic: Charmed States and the* Arabian Nights (Harvard UP, 2012).

[٣] انظر الكتب التالية التى تضم وقائع ثلاثة مؤتمرات عن كتاب *الليالى العربية*:

The Arabian Nights in Historical Context: Between East and West, Edited by Saree Makdisi and Felicity Nussbaum, (Oxford University Press Oxford, 2008);

Ulrich,Marzolph, Editor, *The Arabian Nights in Transnational Perspective* (Wayne State University Press, Detroit, 2007).

The Arabian Nights and Orientalism: Perspectives from East and West

Yuriko Yamanaka and Tetsuo Nishio, (I. B. Tauris, London and New York, 2006).

العربى *Journal of Arabic Literature*(ليدن)، و*فصول فى النقد الأدبى* (القاهرة)، وغيرهما إلى جانب تدريسه فى مساقات خاصة فى مختلف الجامعات الغربية. فعلى سبيل المثال يمكن أن يشير المرء إلى تأثير كتاب *الليالى العربية* فى رواية جون بارث John Barth القصيرة والتى تحمل عنوان *دنيازدياد* *Dunyazdiad* (١٩٧٢)، وراوية إيتالوكالفينو Italo Calvino *كما لو أن مسافراً فى ليلة شتاء*، ومجموعة سلمان رشدى القصصية *هارون وبحر القصص* *Haroun and the Sea of Stories* (١٩٩٠)، ورواية د. إم. توماس D. M. Thomas *أَرارات* *Ararat*(١٩٨٤)، ورواية الروائى الأسترالى أنتونى أونيل Anthony O`Neill «*شهرزاد: حكاية*» *Scheherazade: A Tale* (٢٠٠١)، ورواية ربيع علم الدين، *الحكواتى* *The Hakawati*(٢٠٠٨)، وراوية عالية يونس *لقاء الليل* *Counter The Night* (٢٠١٠)، ورواية انتظار حسين *موت شهرزاد* *The Death of Scheherazade* (٢٠٠٢) وغيرها.

ملاحظات ونتائج

حول ترجمة النصوص الشرقية-العربية

(*كليلة ودمنة، وحى بن يقظان، وألف ليلة وليلة*)

وانتشارها ودخولها دائرة الأدب العالمى

أولاً: أول ما يلاحظه المرء المتتبّع لانتشار هذه النصوص أن المبادرة الفردية

---

[١] انظر رسالتى كل من محسن جاسم الموسوى وفريال غزول اللتين نُشرتا فيما بعد فى كتابين منفصلين:

Ali, Muhsin Jassim,

—— *Scheherazade in England: A Study of Nineteenth-Century English Criticism of the Arabian Nights* (Three Continents Press, Washington, 1981).

Ghazoul, Ferial. *Nocturnal Poetics: The Arabian Nights in Comparative Context*. (American University in Cairo Press, Cairo, 1996).

[٢] انظر العدد الخاص من المجلة الذى صدر عن دار بريل للنشر فى ليدن:

The Thousand and One Nights, Journal of Arabic Literature, Vol. 36, no. 3 (Brill, Leiden, 2005).

فى القيام بترجمة أى من هذه الأعمال كان لها دور مهم بل حاسم فى انتشارها عالمياً ودخولها من ثَمَّ دائرة الأدب العالمى. ذلك أن ترجمة عبد الله بن المقفع المتميزة كانت وراء انتشار *كليلة ودمنة* ضمن العالم الإسلامى، وما وراءه من عوالم أوربية، وإفريقية وآسيوية، بل وأمريكية. وكذا الشأن فى ترجمة إدوارد بوكوك لـ *حى بن يقظان* إلى اللاتينية، ثم ترجمة سيمون أوكلى للكتاب إلى الإنكليزية، وترجمة أنطوان غالان لـ *ألف ليلة وليلة* إلى الفرنسية، ثم ترجمتى إدوارد لين وريتشارد بيرتن اللاحقتين لـ *ألف ليلة وليلة* إلى الإنكليزية؛ فقد كانت هذه الترجمات التى قام بها أفراد (١) موهوبون فى ميدان الفن اللفظى، و (٢) متمكنون من اللغتين: لغة المصدر-العربية واللغة الهدف التى ينقلون إليها هذه النصوص، و (٣) وأصحاب خبرة واسعة فى ثقافتى المصدر والهدف، وراء انتشار هذه النصوص فى مختلف أرجاء العالم القديم، وتجاوزها حدَّى الزمان والمكان وعائقى اللغة والثقافة. ومن الملاحظ أيضاً أن أصحاب هذه المبادرات كانوا أدباء بكل معنى الكلمة، غير أن إسهامهم الترجمى قد طغى على جوانب كتاباتهم الأخرى، وعُرِفوا به أكثر مما عُرِفوا بإسهاماتهم الأخرى.

ثانياً: ومن الملاحظ كذلك أن جميع هذه النصوص نصوص مولِّدة generative، مُلهِمة inspiring حفزت الأدباء والفنانين والمفكرين على إنتاج كمٍّ هائل من الأعمال الأدبية (فى حالة *كليلة ودمنة*، *وحى بن يقظان*، *وألف ليلة وليلة*) والفنية (ولاسيما *حى بن يقظان*، *وألف ليلة وليلة*) والفكرية (وبخاصة *حى بن يقظان*) فى مختلف ثقافات العالم: شرقيها وغربيها شماليها وجنوبيها؛ وغدت متخَلِّلا عضوياً فى الكثير من الأعمال الأدبية والفنية والفكرية التى أنتجتها الثقافات القومية المختلفة.

ثالثاً: وأن هذه النصوص نصوص كونية universal من جانب، وشرقية/عربية من جانب آخر، فمتلقوها المنتشرون على مساحة العالم كله لا يفكرون بداية فى هوية منتجيها الأوائل بمقدار تفكيرهم بما يمكن أن تنطوى عليه من تضمنات

إنسانية تعنيهم مثلما تعنى سائر الإنسانية، غير أنهم من ناحية أخرى لا ينسون أنها شرقيةُ النسب، عربيةُ اللسان.

رابعاً: أن ما سهّل عملية انتقالها من شرق العالم إلى غربه، ثم إلى كل زاوية فيه أنها أُنتِجَت فى مناخ من التسامح والعيش المشترك بين الأمم والشعوب وأتباع الديانات المختلفة، وبأداة عالمية كانت لغة العلم، والفكر، والحضارة هى اللغة العربية التى كانت اللغة المشتركة فى العالم الإسلامى، ولغة الحضارة والعلم والمعرفة فى سائر العالم.

خامساً: أنها نتاج عولمة Globalization حميدة للإبداعات الإنسانية التى لا تعبأ بأية حدود سياسية أو لغوية، أو قومية، أو عرقية، بفضل ما تحمله من قيم إنسانية أسهمت فى تشكيلها أكثر من أمة، أو شعب، أو قوم، فكانت بمنتجيها، ومتلقيها إنسانيةً بحق.

فيحاء الشام

***

مصادر والمراجع:

1 - أمين، أحمد، *حى بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردى*، ط ٣، (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٦).

2 - عباس، حسن محمود، *حى بن يقظان وروبنسون كروزو* (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د. ت.).

3 - يونس، الدكتور عبد الحميد،

4 - الأسفار *الخمسة أو البنجاتنترا*، ترجمة الدكتور عبد الحميد (الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠).

5 - Ali, Muhsin Jassim, *Scheherazade in England: A Study of Nineteenth-Century English Criticism of the Arabian Nights* (Three Continents Press, Washington, 1981).

6 - Attar, Samar, *The Vital Roots of European Enlightenment: Ibn Tufal's Influence on Modern European Thought*, (Lexington Books, New York, 2007).

7 - Baeshen, Lamia Mohamed Saleh, Robinson Crosoe and Hayy Bin Yaqzan: A Comparative Study",

8 - A D. Phil. Thesis, Department of English, University of Arizona, USA, 1986.

9 - Caracciolo, Peter L., ed., *The Arabian Nights in English Literature: Studies in the Reception of the Thousand and One Nights into British Culture* (Macmillan Basingstoke, St Martin's Press, New York, 1988).

10 - Conrad, Lawrence I.و "Introduction: The World of Ibn Tufayl ", in: Conrad, *The World of Ibn Tufayl: Interdisciplinary Perspectives on Hayy ibn Yaqzan*, Edited by Lawrence I. Conrad (Brill, Leiden, 1996), pp. 1-37.

11 - De Blois, Francois, *Burzoy's Voyage to India and the Origin of the Book of Kalila wa Dimnah,* (Royal Asiatic Society, London, 1990).

12 - Doody, Margaret Anne, *The True Story of the Novel,* (Harper Collins Publishers, London, 1997).

13 - Ghazoul, Ferial. *Nocturnal Poetics: The Arabian Nights in Comparative Context* (American University in Cairo Press, Cairo, 1996).

14 - Gauthier, Léon. 0., *Hayy ben Yaqdhân, roman philosophique d'Ibn Thofaïl,* texte arabe publié d'après un nouveau manuscrit avec les variantes des anciens textes et traduction français, (P. Fontana, Algeiers, 1900);

15 - Gauthier, Léon. 0.,*Hayy ben Yaqdhan, roman philosophique d'Ibn Thofaïl*, texte arabe avec les varients des manuscrits et de plusieures édition et traduction française, 2e édition, revue, augmentée et complètement remaniée.

16 - Gauthier, Léon. 0.,*La philosophie musulmane: leçon d'ouverture d'un course public sur "le roman philosophique d'Ibn Thofail*". Paris: Ernest Leroux, 1900.

17 - Gauthier, Léon. 0.,*Ibn Thofail: sa vie, ses œuvres*. Paris: Ernest Leroux, 1909.

18 - Günther, Sebastian,"Ibn Tufayl's Philosophical Novel *Hayy ibn Yaqzan*

and the Quest for Enlightenment in Classical Islam", THE TWELFTH ANNUAL VICTOR DANNER MEMORIAL LECTUR, Department of Near Eastern Languages and Cultures, Indiana University, 2017.

19 - Gutas, Dimitri, "Ibn Ṭufayl on Ibn Sīnā's Eastern Philosophy", *Oriens*, Vol. 34 (1994), pp. 222-241.

20 - Hassan, Nawal Muhammad, *Hayy Bin Yaqzan and Robinson Crusoe: A Study of an Early Arabic Impact on English Literature*, (Ministry of Culture and Information, Al-Rashid House for Publication, Baghdad, 1980).

21 - Hasanali, Parveen, "TEXTS, TRANSLATORS, TRANSMISSIONS: "HAYY IBN YAQZAN" AND ITS RECEPTION IN MUSLIM, JUDAIC AND CHRISTIAN MILIEUX", Unpublished Ph. D. Thesis, Institute of Islamie Studies, MeGill University, April, 1995.

22 - HAWI, SAMI S., "IBN TUFAYL'S APPRAISAL OF HIS PREDECESSORS AND THE INFLUENCE OF THESE ON HISTHOUGHT", *Islamic Studies*, Vol. 13, No. 3 (SEPTEMBER 1974), pp. 135-177.

23 - Irwin, Robert, "The Children of the Nights", in Irwin

24 - Robert Irwin, *The Arabian Nights: A Companion* (Tauris Park Paperback, London, 2004), pp. 237-292.

25 - Jallad, Saleh Sa'adeh, *The Fables of Kalilah and Dimnah*, Translated from the Arabic by Saleh Sa'adeh Jallad (Melisend, London, 2004).

26 - Lefevere, André "What Is Written Must Be Rewritten, Julius Caesar: Shakespeare, Voltaire, Wieland, Buckingham", in Theo Hermans (ed.), *Second Hand: Papers on the Theory and Historical Study of Literary Translation* (Antwep, ALW-Cahier no.3, 1985, pp.88-106).

27 - Theo Hermans (ed.), *Translation, Rewriting, and the Manipulation of Literary Fame* (Routledge, London and New York, 1992);

28 - Theo Hermans (ed.), *Translating Literature: Practice and Theory in a Comparative Literature Context* (The Modern Language Association of

America, New York, 1992).

29 - Madhi, Rabia Abdul Salim, "The Writer's Journey Into Solitude: Self-Discovery in: *Hayy* Ibn *Yaqzan, Robinson Crusoe* and *Friday",*

30 - An M. A. Thesis Submitted to The English and Comparative Literature Department, the American University of Cairo, April, 2004.

31 - Makdisi, Saree, and Felicity Nussbaum, (editors), *The Arabian Nights in Historical Context: Between East and West,* (Oxford University Press Oxford, 2008).

32 - Marzolph, Ulrich, and Richard van Leeuwen, Eds., *The Arabian Nights Encyclopaedia,* 2 vols. (Santa Barbara, Calif., and Oxford: ABC-CLIO Press, 2004), pp. 521-522.

33 - Marzolph, Ulrich, Editor, *The Arabian Nights in Transnational Perspective* (Wayne State University Press, Detroit, 2007).

34 - Naddaff, Sandra, "The Thousand and One Nights as World Literature", in: *The Routledge Companion to World Literature*, Edited by Theo D'haen, David Damrosch, and Djelal Kadir (Routledge, New York and London, 2014), pp. 487-496.

35 - Pastor, Antonio, *The Idea of Robinson Crusoe,* Volume One (The Gongora Press, Watford, 1930). *The Thousand and One Nights, Journal of Arabic Literature*, Vol. 36, no. 3 (Brill, Leiden, 2005).

36 - Verde, Tom, "Hayy Was Here, Robinso Cruseo", *Aramco World*, Vol. 65, No.3, May/June 2014.

37 - Warner, Marina, Stranger *Magic: Charmed States and the* Arabian Nights (Harvard UP, 2012).

38 - Yamanaka, Yuriko and Tetsuo Nishio, *The Arabian Nights and Orientalism: Perspectives from East and West*, (I. B. Tauris, London and New York, 2006).